

دمية القصر

هذا سُروري بأبي عامر ... مُغرِّقي في لُجّه الغامر .
فتىً إذا جراهُ في مَفْخَرٍ ... مُساجلُ خاطِرٍ بالخاطر .
النثرُ جسمٌ وهُوَ روحٌ له ... والنَّظْمُ عينٌ وهو كالناظر .
فمما أنشدني لنفسه من شعره الذي يغدو ويروح ممتزجاً بالروح قوله في الغزل :
نفسي الفداء لشادنٍ ... بلاواه عِنْدِي تُسْتَحَبُّ .
فإذا بَلوتُ خِلالَه ... فالماءُ يُشْرِبُ وهُوَ عَذْبٌ .
وإذا نَصوتُ ثيابه ... فاللوز يُقَشِّرُ وهُوَ رَطْبٌ .
وقُصارُ وَصْفِي أَنه ... فيما أُحِبُّ كما أُحِبُّ .
قلت : هذا و[] وصفُ تتطَلَّعُ إليه الأحداق وتتحلَّبُ عليه الأشداق وله أيضاً :

صَبَحْتُ مَعَهْدَ أُنْسِي ... أرومُ تَرْويحَ نَفْسِي .
فحينَ وافيتُ قالوا : ... قد فارقَ الشيخُ أَمْسِرَ .
فأظلمَ اليومُ عِنْدِي ... وكدتُ في الحالِ أُمْسِي .
فيا مَسَرَّةَ قَلْبِي ... ويا هِلالِي وشَمْسِي .
أَتَسْتَجِزُ فِرَاقِي ... من دونِ تَزويدِ أُنْسِرَ .
وأنتَ أنتَ ووُدِّي ... ما قدَّ علمتَ وِبَسِّي .
الشيخ الرئيس .

أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور .

الإمام المختلف إليه والهمامُ المُتَّفَقُ عليه . لم تُخْرَجْ فتىً مثله الفَتَيانِ ولم تَرَ
العيونَ نظيرَه في الأعيان . واتَّفَقَ أنِّي خيِّمتُ في معسكر السلطان الشهيد طُغْرُلُوكْ بك هـ
بظاهر جرجان . وكنتُ يومئذٍ مُرَشِّحاً لِدِيوانِ الرسالة وموشِّحاً بجشمة الكتابة .
والوزير رئيس الرؤساء صاحب أبو عبد [] الحسن بن علي بن ميكائيل يَجْذِبُ بِصَدِيعِي من
بين نُظْرَاتِي وَيَخُصُّنِي بالرعاية والعناية من بين أكفائي .

ولعلَّ الرئيسَ أبا المحاسن رحمة [] عليه كان سمع بخِيارِي أو وقف على أثري فَحَصَرَ
ديوانَ الوزارة ودلَّتْهُ الفِرَاسَةُ عَلَيَّ فَقَسَمَ طَرْفَهُ بَيْنَ طَرَفِيَّ وهو متردِّدُ الرأْيِ بَيْنَ
الشكِّ واليقين متشعِّبُ المذهب بين التحقيق والتخمين . فابتدأ تَهُّهُ بِالسَّلَامِ وَقَمْتُ ماثلاً
أمام ذلك الإمام وقلت : " أنا ذاكَ الذي طننتَ وأنتَ في صدق الفِرَاسَةِ أنت . فأقبلَ عَلَيَّ
وقبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ " وقال : " مرحباً بقادم له عندنا محلُّ الإخاء " فقلت : " قادمٌ

ولكن بالخاء " . فتعجب من حضور جوابي وأُعجبَ بي وبآدابي وأثنى عليّ في ديوان الوزارة بما طرّزَ به كمُّ جاهي وقدّري شرح للرأي الصاحبي من أحوالي ما انشرح له قلبي وصَدري . وزُرته في مقرِّ عزِّه بجُرْجان من الغد ورتَّعتُ عنده في ظلِّ الرِّغْد . وتجاذبنا أهداب المذاكرة بياضَ نهارنا وشِطراً من سوادِ ليلنا ؛ وجرى بيننا من الفوائد ما تخيَّرته الغَواني لأوساط القلائد . ومدحته بعد ذلك بقصيدة دالية مطلعها : .
عجبتُ لطيفها أنسى تَصديّ ... وأومضَ بالتواصل ثم صَدَّأ .
نصبتُ لصيده أشراكَ نَوَمي ... وصاحَ الانتباهُ به فَنَدَّأ .
هو الطاووسُ زِيَّاءٌ واخْتيالاً ... ولكنْ كالقَطَا ليلاً تَهْدِي .
فلمَّا بلغتُ هذا البيت قال : " ما أحسن ما جمعتَ في المعنى بين هذين الطائرين ؛ قد طيَّرتَهُما على السنة الرُّوَاة سائرين " وتخلَّصتُ إلى المدح فلمَّا سمع قولِي فيه : .
عَلا هِمَّماً فليس يَهشُّ إلا ... إلى قُرُصِ السماء إذا تغدَّى .
هزَّ إليَّ مَلائِخَ العِمامةِ وشهد لي في الصنعة بالإمامة . حتى انتهيتُ إلى قولِي : .
مِنَ القومِ الذينَ إذا استُمدُّوا ... نَدَى فَضَحوا الخِضْمَ المُستمدِّأ .
فَلا وَدَّوا أراسِ العِزِّ شَجَّأ ... ولا شَجَّوا بدار الهُونِ وُدَّأ .
قال : هذا مقلوبٌ ترتاح إليه أسمعُ وقلوبُ . واتفقُ أتِي أنشدتُ هذه المِدحة في الجامع بجُرْجان بعد الانتقال من المكتوبة وانقضاء المجلس المعقود للنظر ومن الحاضرين هناك الشيخُ أبو عامر أدام □ فضله وهو المعنيُّ بكلامي ؛ بمَشْطِ أصداعه ويخلطُ أصباغه ويُعَمِّر بلسان التحسين نَوَاحيه ويخلِّقُ بأنشام التَّزيين أقاحيه